

شعرية أسلوب التناس وحمولته الدينية الثقافية في منامات محمد ابن محرز الوهراني

The poeticity of the method of intertextuality and its religious and cultural charge in the sleepovers of Muhammad Ibn Mahrez al-Wahran

1 مصطفى جرموم*

كلية الآداب والفنون. جامعة عبد الحميد بن باديس .مستغانم (الجزائر)،

moustapha.djarmoume.etu@univ-mosta.dz

2 أ.د. بن عائشة حسين

كلية الآداب والفنون. جامعة عبد الحميد بن باديس .مستغانم (الجزائر)

hocine.benaicha@univ-mosta.dz

تاريخ الارسال 2022/09/28 تاريخ القبول 2022/10/14 تاريخ النشر 2022/12/28

ملخص:

يهدف هذا البحث لمعرفة شعرية وجماليات التناس الثقافي والديني في منامات محمد ابن محرز الوهراني، وقد خلص إلى جملة من النتائج، إذ قد تشكلت ظاهرة التناس عنده في ثلاث آليات: استدعاء النصوص المقدسة- القرآن أو الحديث-، أو الآثار الأدبية؛ التي استعار منها لفظة أو جملة حتى يتم استدعاء تلك الحمولة الثقافية؛ و الإشارة إلى أسماء شخصيات دينية وسياسية وتاريخية للفصل في الخصومات أو إيقادها، واستحضار شخصيات من عالم الغيب كالجن والملائكة وتوظيفها في أحداث عجائية وذلك قصد دمجها بعالم الميتافيزيقيا.

الكلمات المفتاحية: المنامات، التناس، الثقافة، ابن محرز الوهراني، الشعرية.

Abstract :

This research aims to know the poetics and aesthetics of cultural and religious intertextuality in the dreams of Muhammad Ibn Mahrez al-Wahrani, and he concluded a number of results, since the phenomenon of intertextuality was formed in him in three mechanisms: the invocation of the sacred texts - the Koran or the hadith -, or literary monuments; from which he borrowed a word or phrase to invoke this cultural charge; Referring to the names of religious, political and historical personalities to settle disputes or trigger them, and invoking personalities of the invisible world such as jinns and angels, and employing them in miraculous events, in order to integrate them into the world of metaphysics.

Keywords: Intertextuality; cultural intertextuality; Ibn Mahrez Al-Orani ; poetic.

1. مقدمة:

بما أن التناس قدر مفروض على جميع النصوص، ففيه "ثراء للمعنى، وتوسيع لأفق الرؤية؛ وتحقيق للأدبية"¹ وقد أشار غوستاف لانسون إلى شيوعه في جميع الكتابات الأدبية وغيرها "فأكثر الكتاب أصالة هو إلى

* المؤلف المرسل

حد بعيد راسب من الأجيال السابقة ..، وثلاثة أرباعه مكون من غير ذاته"²، ويلح أيزر على "ضرورة اعتبار الكتابة الأدبية في جوهرها حوارا بين الثقافات"³، لذا فقد وظف ابن محرز الوهراني العديد من الشخصيات والأحداث والنصوص الدينية والتراثية؛ على لسان جمع من الأدباء والعلماء والملوك!، ولك أن تتخيل ما يدلي به هذا النص أو تلك الشخصية المفردة أو الجماعية، - أعني اسم الجنس الجمعي كمثل آل البيت - وحتى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيات غيبية من مثل الملائكة؛ أو ملك الموت وخازن النار وجبريل عليه السلام، من معاني ودلالات معقولة وضمنية، ترفع النص إلى أن يلامس النفوس الذواق، وهذا ما جعل كتاباته تتداخل بالأدب العجائبي لما فيها من صناعة فنية مسبوك؛ كما تتميز المنامات إلى جانب مقاماته الأدبية بقيمة أدبية معرفية وتاريخية كبيرة.

هذا وقد اهتم الشكلاونيون الروس في العصر الحديث بدراسة ظاهرة التناص، وممن أولاهم أهمية خاصة في كتاباته وبحوثه ميخائيل باختين، ويستند باختين في دعوته إلى ضرورة وجود (حوار) في أي نص أو عمل ما إلى حضور دور المرسل و المتلقي في التفاعل اللفظي، إن اللفظ هو فعل ذو جانبيين، إنه محدد بطريقة متساوية من طرف اللفظ، ومن طرف ذلك يفهم اللفظ..⁴ وعليه فإن السؤال الذي يطرح نفسه؛ ما هو التناص؟ وما أنواعه؟ كيف وظف ابن محرز الوهراني التناص في كتاباته الأدبية؟ ولماذا يكتف هؤلاء الكتاب المتربسون من توظيف تلك النصوص الدينية والثقافية وحتى الشخصيات ذات القيمة التاريخية في كتاباتهم؟

لعلنا نقول كإجابة أولية أن استحضار تلك النصوص يعطي للكتابة الأدبية مصداقيتها في المجتمع الإسلامي، كما يساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فيما يسمى الإصلاح الاجتماعي، لأن مجرد ورود النص المقدس ولو في غير محله يثير في النفس ما كان مخبوءاً، كما يهدف استدعاء الشخصيات عند الوهراني بأهداف متباينة؛ خصوصاً في المنام الكبير إذ ترد فيه بأسماء صريحة دون تستر أو تلميح؛ وغالباً ما يقصد من استدعائها السخرية التهكم، وأحياناً بقصد الرجوع لها عند الفصل في الأحكام نحو ما نجد في استحضار شخصية جبريل عليه السلام.

وبمحاولة الرجوع إلى منامات الوهراني والوقوف على كيفية استحضار النصوص التراثية؛ أو الشخصيات العلمية..، سنلاحظ أن الاستعانة بهذا الأسلوب في الكتابة يخلق جمالية أسلوبية فريدة من نوعها، إذ مجرد ذكر اسم الشخصية يعد جلباً لبعض صفاتها المميزة، أو ما توحى به في الواقع الاجتماعي، وهذا ما جعل من المقامات والمنامات أعمالاً مميزة في تاريخ الأدب العربي كله، ويعلي بذلك من الأسلوب الصريح إلى الأسلوب الضمني، الذي يخلق دلالات غير متناهية.

1- مفهوم التناص:

ظهر مصطلح التناص في النقد الغربي مع الشكلانيين الروس، وعلى وجه التحديد مع الناقد الروسي شكولوفسكي، ثم أخذها عنه الباحث ميخائيل باختين الذي حولها إلى نظرية علمية من

خلال دراسته لأعمال دستوفيفسكي الروائية سنة 1992، وقد ظهر هذا المفهوم في البدايات باسم الحوارية- و البوليفونية و تعدد الأصوات، يقول باختين في الماركسية وفلسفة اللغة "في الأصل لا وجود للكلمات فرادى، فوجودها هو صراعها مع كلمات وتأثرها بكلمات أخرى، وهذا كله يعين الكلمة كيانا حيا، يتكون في علاقات التأثير والتأثير، كما لو كانت الكلمة جملة العلاقات الاجتماعية التي تعبرها أو بمثابة حلقة مصغرة، تتقاطع فيها و تتصارع لهجات اجتماعية ذات توجه متناقض"⁵ ثم أخذت تتابع وترصد هذا المفهوم الناقدة الإسبانية جوليا كريستيفا في كتابها - علم النص- بمصطلح (الحوارية) ثم (عبر النصوص) و(التصنيف) ثم ظهر مصطلح (الامتصاص)؛ لتخلص بعد ذلك لمصطلح (التناص) وقد برز هذا الأخير كمصطلح في أبحاث نشرتها بين عام 1966 و 1967 في مجلة (تيل كيل TEL QUEL) وتوصلت إلى أن كل نص أدبي يحوي كما هائلا من نصوص سابقة، "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"⁶ وقد أشارت جوليا كريستيفا إلى أن فكرة تداخل النصوص قد سبقها إليها (دي سوسير) بمصطلح (التصنيف) واعتباره من الخصائص الجوهرية لبناء اللغة الشعرية⁷

و من طور مفهوم التناص جيرار جينيت؛ فعتبر التناص "هو علاقة حضور مشترك بين نصين بأي عدد من النصوص بطريقة استحضارية في أكثر الأحيان من خلال الحضور الفعلي للنص، داخل نص آخر"⁸

وقد حدد خمسة أنواع من المتعاليات النصية:⁹

- 1- التناص.
- 2- التوازي النصي أو المناص.
- 3- النصية الواصفة أو الميئانص.
- 4- النصية المتفرعة.
- 5- النصية الجامعة أو معمارية النص.

ولتحديد علاقة النص الغائب بالنص المائل، يدلي كل من جوليا كريستيفا؛ وجان لوي هودبين بثلاث آليات تناصية أساسية هي :

الاجترار: بمعنى إعادة كتابة النص الغائب بوعي.

الإمتصاص: بمعنى إعادة كتابة النص الغائب وفق حاضِر النص الجديد.

الحوار: ويتم من خلال تغيير النص الغائب مع نفي لقدسيته

حصر جرار جينيت هذه الآليات التناصية في ثلاث أنماط وهي:

- التحقيق - التحويل - الخرق

ويشير مكايل رفاتي أن عملية استحضر النص الغائب تتم عن طريق قنوات تناسخ بارزة وهي¹⁰:

1- الاستشهاد.

2- الاقتباس.

3- التلميح أو الإيحاء.

تحدد جوليا كريستيفا ثلاث مستويات للتناسخ:¹¹ هي

- النفي الكلي - النفي المتوازي - النفي الجزئي

وأما عن وجود ظاهرة التناسخ في التراث العربي فقد تناوله النقاد العرب في فن الشعر خاصة، وبمصطلحات مختلفة أبرزها السرقات الشعرية و"من أوائل النقاد الذين تناولوا مشكلة السرقات الشعرية الجاحظ حيث نظر بعين الناقد البصير، وما من شك أن من جاء بعده من النقاد البلاغيين كابن طباطبا، والمرزوباني، وأبي هلال، وابن رشيق، وعبد القاهر الجرجاني،، والآمدي، والقاضي الجرجاني... استفادوا منه واقتفوا أثره، ولكنهم أخذوا يتوسعون في بحث السرقات الشعرية، وينوعونها ويفردون لها أبوابا ويطلقون عليها ألقابا عديدة وغريبة كالإغارة والاحتلاس والاحتلاب"¹²

يقول عبد القاهر الجرجاني "اعلم أن الحكم على الشاعر بأنه أخذ من غيره وسرق، واقتدى بمن تقدّم وسبق، لا يخلو من أن يكون في المعنى صريحا، أو في صيغة تتعلق بالعبارة"¹³

1-2- أقسام التناسخ و أنواعه:

أما عن تقاسيم ظاهرة التناسخ فقد قسم باعتبارات كثيرة :
منها التناسخ:

1- التناسخ الداخلي: سعيد يقطين: التفاعل الذي يحصل على صعيد إنتاج النص المنتج

وتتحكم في هذا النص عناصر عديدة يتصل بعضها بالموقف الكتابي والممارسة الفعلية التي يخوضها الكاتب وهو ويتوقف من تجربة معينة، ويسعى إلى إنتاج نص معين"¹⁴

2- التناسخ الخارجي: وهو يرتبط بدراسة علاقات النص بنصوص عصر معين أو جنس

معين من النصوص"¹⁵

التناسخ في الشكل والمضمون:

- 1- **مستوى المضمون:** "نرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة أو ينتقي منها صورة أو موقفاً درامياً أو تعبيراً ذا قوة رمزية"¹⁶
- 2- **مستوى الشكل:** لا يوجد مضمون خارج الشكل بل أن الشكل المتحكم في الميكناس والموجه إليه، وهو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي ولإدراك التناس وفهم العمل الأدبي تبعاً لذلك"¹⁷

1-3- درجات التناس عند محمد مفتاح :

التطابق: إن تساوي نصوص في الخصائص البنيوية وفي النتائج الوظيفية نسميه تطابقاً، وإذا أخذ بهذا المعنى القوي للتطابق لا يتحقق إلا في النصوص المستنسخة"¹⁸

التفاعل: "قد يكون النص مقتبساً في كل أجناس وأنواع وأصناف الثقافة العربية الإسلامية، إلا أن الغايات التي يقصدها الكاتب الماهر تجعله يصنع من تلك النصوص جميعها نصاً واحداً له دلالة ورسائله الخاصة به"¹⁹

التداخل: يقصد به أن نصوصاً متعددة دخل وداخل بعضها بعضاً، وتداخل بعضها في بعض، في فضاء نصي عام، لكن الدخول و المداخل والتداخل لم تحقق الامتزاج أو التفاعل بينها، ولكنها دخيلة تبقى تحتل حيزاً من النص المركزي"²⁰

التحاذي: بأنه يحدث عندما يتجاوز نصان في فضاء، لكن كل نص يحافظ على هويته ووظيفته، وهنا تصبح العلاقة مجرد تحاذ، ومثال ذلك نجد الكتب القديمة"²¹

التباعد:

التقاصي: ويقوم على التقابلات التالية: النصوص الدينية، النصوص السخيفة والفاجرة، النصوص الحكيمة، النصوص الحمقية، علة أن هذا التقاضي يبلغ مداه في نقض القرآن الكريم ولما ورد في بعض الكتب السماوية..."²²

• منامات الوهراني:

- وللوقوف على السمات المميزة في استحضار وتوظيف الوهراني لتلك النصوص، كان لابد علينا التمييز بين ثلاث آليات مستعملة في نص المنامات:
- 1- استدعاء بعض النصوص المقدسة- القرآن الكريم و الحديث النبوي-، أو الآثار الأدبية؛ لاستعارة لفظة أو جملة حتى يتم استدعاء تلك الحملة الثقافية.
 - 2- استدعاء شخصيات دينية وسياسية و تاريخية للفصل في الخصومات أو إيقادها.
 - 3- استدعاء شخصيات من عالم الغيب كالجن والملائكة وتوظيفها في أحداث عجائبية وذلك قصد دمجها بعالم الميتافيزيقيا.

أولاً: استدعاء بعض النصوص الأدبية و الدينية لنقل الحمولة الثقافية - باستعارة جملة أو أكثر-.

بادئ ذي بدء لابد من الإشارة إلى أن توظيف تلك النصوص ليس في درجة واحدة؛ فاستدعاء لفظ أو جملة قرآنية؛ ليس هو نفسه استدعاء شطر من بيت شعري؛ ثم ذلك البيت الشعري؛ فالوارد عن شعر الجاهليين مثل امرؤ القيس و طرفة بن العبد؛ ليس كشعر الأمويين نحو جرير و الفرزدق، وهذا الشعر هو يختلف اختلافاً بينا عن الحديث النبوي، ولكل كلام قدره في الحسن أولاً؛ ثم لوقعه في النفوس الشريفة ثانياً، ونحن هنا لا نتكلم هنا عن حقيقة علمية يجب تبنيها، بل نفسر حالة يقينية كان يعيشها المجتمع الإسلامي قديماً ولا زال كذلك في معظم شعوب العالم العربي.

يستفتح الوهراني المنام الكبير بثلاث أبيات شعرية من نظمه؛ يعبر فيها عن فرحه عما قد وصله؛ من رسالة شيخه ومعلمه الحافظ العليمي؛ التي جاءت كرد على رسالة سابقة من الوهراني؛ "وصل كتاب مولاي الشيخ الأجل الإمام الحافظ الفاضل الأديب الخطيب المصقع..²³ وهذه الرسائل تشبه إلى حد بعيد؛ إن لم أقل متطابقاً رسالة الغفران،

فقارئ المنام الكبير بمجرد اطلاعه على مقدمة المؤلف حتى لا ينتابه الشك بأنها تتعالق كثيراً في شكلها العام مع رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء المعري، التي كانت السبب وراء كتابة رسالة الغفران، تلك الرسالة التي بلغت الآفاق مشرقاً ومغرباً وأصبحت تصنف من الأدب العالمي، وتناظر الكوميديا الإلهية لدانتي؛ وتشترك مع بعض أطروحاتها الفكرية، وإن تباعد بينهما العهد- الزمن والفكر والدين- غير أن نصوصهما تصب في مصب واحد. حيث جاء في رسالة أبي العلاء "وقد وصلت الرسالة التي بحرهما بالحكم مسجور، ومن قرأها مأجور..²⁴ إن تناص أبي العلاء المعري؛ مع منامات الوهراني قوي وواضح؛ والشواهد على ذلك كثيرة:

أولها: هو أسلوب الترسيل (الرسائل) الذي ورد في مقدمة المنام الكبير؛ وأيضاً نجده ماثلاً في منام صلاح الدين، ومنام أبي خطرش.

ثانيهما: كثرة الألفاظ الغريبة و العامة مع ذكر عدد لا بأس به من أسماء الأماكن و البلدان التي كانا يقطنانها.

ثالثاً: استدعاء بعض الشخصيات الغيبية بنفس الألفاظ أحياناً والمسميات، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في رسالة الغفران، من استدعاء شخصية أبي خطرش وهي نفسها التي وردت عند المعري باسم أبي هدرش فجاء في منام صلاح الدين "فلم يشعر وإلا والحائط الشمالي قد انشق، وخرج منه شخص عجيب الصورة، ليس له رأس ولا رقبة، وإنما وجهه في صدره، ولحيته في بطنه، مثل بعض الناس... فقال: أبو خطرش، من بني الدرديس"²⁵

واستفتح الكاتب في المنامات مبادئ لما هو دارج في المقامات من جعل راو يحدث بصيغة أصبحت كالخاصية للمقامة لا تنفك عنها نحو حدثنا عيسى بن هشام قال أو أنبأنا أو أخبرنا، من ذلك ما جاء في المقامة الأولى عند الهمذاني "حدثنا عيسى بن هشام قال: طرحني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصى. فاستظهرت

على الأيام بضياح أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها على التجارة...²⁶، والوهراني استفتح المنام الكبير بقوله "قال الشيخ"؛ وذلك دون ذكر المقدمات أو ما درج الكتاب على البدء به مثل الحمدلة؛ والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم؛ أو كما هي عادة الكتاب ممن سبقه في الرسائل، و عين المرسل والمرسل إليه، بعد ثلاث أبيات شعرية، ولما كان المرسل من ذوي المشيخة المبرزين؛ فقد أعرض عن ذكره بالاسم، تجاهلا منه له جاعلا من المرسل وصفا دون اسم، زيادة في إنكاره، وذكره بألقاب متعددة يرفعه بها إلى عالٍ، هو "الحافظ الفاضل الأديب الخطيب المصقع الأمين... فخر الكتاب زين الأمناء"²⁷ وهذه العبارات درج علماء التراجم على ذكر نحوها فهي تناس وتقاطع مع الموروث العلمي للمؤرخين و المترجمين ولو أردنا أن نذكر نماذج لمثل هذا لطال بنا المقام. ثم بعد أن يتم وصف شيخه، وما يحمله من ألقاب؛ ينتقل إلى ذكر أوصاف الكتاب الذي بُعث إليه، فنجدده وسمه بسمات قل نظيرها، وهي سمات تدل على شأن مسطرها، فيقول "أبصر فيه خطأ أجمل من رياض الميطور، ولفظا أرق من نسيم الروض الممطور... قد استفتحه سيدنا بكل لفظ مذهب، وذهب فيه من التعاضم إلى كل مذهب..."²⁸ ويذهب الوهراني في هذا النص إلى النفخ والتضخيم من شأن الرسالة ومرسلها، وبدأ بأول صفة يحب طلاب العلم بالتحلي بها وهي جمال الخط عند الكتابة، فجعل يشبهه برياض الميطور أي بساتين القرية التي تدعى الميطور وهي قرية "كانت تشتهر بأشجارها المثمرة و غياضها وكانت هي وأرض السيلوق من أشهر غياض دمشق، المشجرة في ذلك الوقت، فكانا مقصد أهل الشام للنزهة"²⁹، ثم ثنى بجمال اللفظ جعله أرق من الروض وهو البستان الممطور أي الذي رواه المطر، فجعل للفظ رائحة تفوح منه كمثّل تلك التي تُشم من رائحة البستان الكثير الخير، المملوء بأنواع الزهر والنباتات، فكان الكلام الذي في الرسالة كمثّل ذاك سواء بسواء، ثم يمضي الوهراني في الثناء عن الرسالة جاعلا من العليمي الفائز بمرتبة السبق بين الكتاب، إذ جاء في كتابه (بكل لفظ مُذهب وذهب من التعاضم إلى كل مذهب)، ويأتي في الرسالة بأن شيخه العليمي ما أرسل هذه الرسالة لتكون واسطة بينه وبين خادمه إلا لكون الغربة عن وطنه قد سادة على قلبه و أبغضت إليه الحياة، و دليل ذلك أنه بدأ يذكر محاسن بلده التي لا يوجد لها نظير، وذكر مساوئ تلك البلاد التي قد رحل إليها، فكان كالذي استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويستدرج في ذلك استدراجا يطول الكلام عليه غير أنه يعطينا أخبارا صادقة ووصفا دقيقا عن تلك البلاد في تلك الحقب الزمنية و عن ثقافتها الشعبية؛ وحال أهلها مع الزراعة و العمل المنتج؛ وكيف أن حال أهل تلك المدن تتشابه من حيث الحياة المعيشية، فغاية كل حي أن يرحل من مقره و مستقره حتى ينال عيشةً كريمة، كما يفيدنا في حال التدين و العلم و الغاية منه عند الناس وهو كسب ما يقتات به.

أما إن أردت البحث أو السؤال عن النصوص الدينية و المقدسة وكيف استثمارها الكاتب، فذاك سؤال تطول الإجابة عنه؛ وغاية المخي أننا نشير إلى بعض المواضع الواردة في المنام الكبير و إلا فإن فكرة المنام كلها تتقاطع مع حديث المعراج سابق الذكر ومع تلك الأحاديث النبوية التي تتحدث عن يوم القيام و أهوله وأحواله التي جاء

ذكرها في كتب الرقائق ونحوها، حسبنا أننا نحيل إلى موضعها في نص المنامات مع حديث مقتضب إلى أن يحين حينه.

ومنها: ذكر أهوال يوم القيامة و أحداثه نحو "أما ترى الملائكة منحدرة من السماء إلى الأرض زرافات ووجدانا؟ { وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا } سورة الفرقان
وصورة يوم البعث و الحشر يوم القيامة؛ إذ قال " كأن المنادي ينادي هلموا إلى أرض المحشر، هلموا إلى الله تعالى، فخرجت من قبري أيمم الدعي إلى أن بلغت إلى أرض المحشر وقد أجمني العرق،... فقلت في نفسي هذا اليوم العبوس القمطير³⁰ فيه إشارة إلى قول الله تعالى { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا } الإنسان
ثانيا: استدعاء شخصيات دينية وسياسية والأماكن لتصوير الخصومات أو إيقادها.

يشري الوهراني المنام الكبير حين يستدعي الكثير من الشخصيات الدينية والتاريخية المعروفة لنا اليوم بأسمائها أو المجهولة عندنا، لكن حتى إن عرفناها فنحن نجعل دورها ومحمولاتها الثقافية في تلك الحقب الزمنية وما يتناقله الناس من أخبارها و بطولاتها، وذلك نحو شخصية آل البيت، أو الشيعة؛ أو غيرهما، والعجيب حينما يجعل من الحافظ العليمي النصيب الأكبر من حيث الاهتمام والذكر سواء عن طريق السخرية منه، أو عن طريق استصحابه في عرصات يوم القيامة، و ما سوى ذلك ..

و مع ذكر الكثير من الشخصيات التي استحضرها الوهراني و جعل منها محطاً للسخرية، يمضي و يجعل من الحافظ العليمي الرجل الذي يخالف الفطرة و المؤلف من الناس، فهو يقتني الغلمان الذكور بدل النساء، يحدث هذا في عرصات يوم القيامة بعد أن يأتي عدة حوار للوهراني يطالبونه حقوقهم مع بعض الأولاد الذين هم منه لكنه هرب عنهم وابتاعهم ويزيد بأنهم حبالي منه.³¹ هذا الصنيع هو عمل قوم لوط، وهذا فيه من الزاوية بتلك الشخصية الشيء الذي لا يصدق المرء ما يقرأ؛ حتى يشك في كون هذا الأسلوب صحيح إلى مؤلفه، لأن قيم المجتمع في نظرنا تنبذ هكذا كلام؛ ولو على سبيل السخرية،

و أثناء هذا يأتي التناص ليحاجج به خصمه كأسلوب لإقناع المخاطب وهو عبد الواحد بن بدر ومن خلفه القارئ أو المتلقي، فيقول "وقد باعت الأسباط قبلي يوسف وهمهم"³² وفي هذا أخذ من القرآن الكريم، ويتجلى الأخذ في استدعاء شخصية النبي يوسف بن يعقوب عليه السلام والأسباط وما لهما من دلالات في القرآن الكريم و في الموروث الديني ويوردهما في سياق غير سياقهما ليكسر بهما أفق المتلقي، إذن هو قد شبه نفسه بيوسف عليه السلام حينما باعه إخوته الأسباط وهمهم في المنزلة والشرف حتى أن كثيراً من أهل العلم قد ذكر بأن إخوة يوسف أنبياء بدليل قوله تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيْسِينَ مِنْ بَعْدِهِ } و إذا كانوا كذلك وقد تجاوزوا الحد في هذا فلم اللوم عليه.

يستمر التفاعل بين النص الداخلي وغيره لتكثيف الدلالة اللغوية والسياقية ، ويأتي بعد ذلك ليوضح تلك الأحداث المفزعة في ذلك اليوم المشهود، ليصور الملائكة وكيفية نزولها من السماء إلى الأرض في مشهد مهيب،

صاحبه العليمي يلومه لعدم مخاطبته بنون الجمع، فيجيبه إجابة العاقل الراشد "أما ترتدع؟ أما ترعوي؟...أما ترى الملائكة منحدرة من السماء إلى الأرض زرافات ووحدان؟"³³ يعني كما يقال كفى بالموت واعظا؛ أو كفى بهذه الأهوال أن تتواضع للخلق وتعرض عن تلك الألقاب و المسميات. وهذا يتناص مع قول الشاعر

قوم إذا الشر أبدى ناجديه لهم* طاروا إليه زرافات ووحدانا.³⁴

وهذا البيت قد جرى عند العرب مجرى المثل، ومعنى زرافات أي جماعات، وقد استحضر هذا المعنى وترك اللفظ يخالفه، أي قد حور معناه، أما في حديثه فقد جاء بطرف منه مما جعل معناه الأصلي يغيب، فهو لم يذكر إلا لفظان مركبان يشيران إلى البيت، ويدرج ذلك في الحديث عن الملائكة، وهم خيار المخلوقات و البيت جاء في الدم، مما يجعل مفارقة في التصوير إذ يمتص من قول الشاعر في الهجاء ليهون من قدر عمل الملائكة الذي قد يكون وبالا عليه، بعد أن كان منه ما قد كان،

وبهاته التناسبات يصور ابن محرز الوهراني نفسه في هذا السياق للمستمتع كرجل صالح قد ظلم، وأعطى أسلوب التناص لحديثه معانٍ متعددة تبعده من النص المركزي إلى نصوص محاشية له، بحسب تفكيره وجهده وفي هذا قد ذهب مسعاه سدى، وذا يشير لنا على ثقافة الوهراني الدينية، فهو لا يخرج عن بيئته، والإنسان ابن بيئته.

وصف كاتبه بلفظ سيدنا التي تدل على التعظيم والتبجيل ورفعة القدر والمكانة، وفي هذا التناص أخذ من النص النبوي من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة " قوموا إلى سيدكم"³⁵ وما جاء في كلام السلف كثير³⁶، ثم وبعد ذكر تلك المحاسن يأتي بالمثل وهو كالضربة القاضية ثم يدرج بعد ذلك المثل أن " الفأل مقدمة الكون" والوهراني هنا يستدعي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعجبني الفأل، قالو؟ مالفأل؟ يا رسول الله؟ قال الكلمة الطيبة"³⁷ وهو إذ يجعل نفسه صاحب مروءة وكمال ومحاسن أخلاق.

وبعد ذلك يمضي الوهراني في استحضار الكثير من المناطق و الأماكن التاريخية " لو أن النار كilst الكلاسة، واشتملت على الحيط الشمالي، وعرست في العروس، وأذنت بهلاك المؤذنين، وأهلت لغير الله بدار ابن هلال، تكون مثلها لما اقتصرت على المقصورة، ولا برتها البرادة، حتى تصحن الصحن، وتنسر النسر، وتجرد القبة من رصاصها، وتكبها على عراسها"³⁸

ويواصل الوهراني في تفعيل تقنية التناص لخدمة دلالاته وجعل نصه ينبض بالحياة، ذاكرا جملة من الأماكن التي يعد كل واحد منها رمزا من رموز الحضارة والرفي في دمشق، وهو يصف حال الخادم وهو يسرح به الشوق للعودة إلى بلده، ليعيش بين أولاده، و الرسالة كتبها الحافظ العليمي وهو مختنق بالضيق و اليأس الذي يحوطه من كل جانب، وبالرغم من ذلك فإن شاعريته الأسلوبية تدل على إبداع خلاق، حيث أن استحضار أسماء المدن والأماكن في "النص المركزي يولد معنى إضافي من نصوص غائبة يتحرك من خلاله حتى يستوي نصا ذا معنى"³⁹ الطباق الشكل:

كلست.....شوق الوهراني.....الكلاسة.
اشتملت شوق الوهراني....الشمالي.
عرست..... شوق الوهراني.....العروس.
أهلت..... شوق الوهراني.....ابن هلال.
اقتصرت..... شوق الوهراني...المقصورة.
تصحن شوق الوهراني..... الصحن.
تنسر النسر.

فهبت عليه من نحو صحراء عذاب بكل نقمة وعذاب، فطلعت روحه إلى التراق، وقيل من راق"⁴⁰
ثالثا: استدعاء شخصيات من عالم الغيب كالجن و الملائكة و توظيفها في أحداث عجائية وذلك قصد
دمجها بعالم الميتافيزيقيا.

تتنوع مهام تلك الشخصيات عموما؛ بين أن تكون فاضلة أو مفضولة، وبين وظائفها في الموروث الديني،
فجبريل عليه السلام الذي هو أفضل الملائكة، و هو رسول رب العالمين، الملك عزرائيل ملك الموت عليه السلام،
الذي هو كذلك من الرسل غير أن مهامه خلاف مهام سابقه كون الأول يحيي الروح حياة حقيقة إذ موكل بالوحي
والآخر يقبضها، وفرق بين الإحياء والإماتة، وثالث الملائكة الحاضر في المنامات ملكا اليمين والشمال، المسئولان
عن كتابة أعمال بني آدم، و مالك خازن جهنم.
استدعاء الوهراني لهذه الشخصيات حتى يخدم بها أغراضه، حيث جعلها في سياق لغوي هزلي حتى يصور
للقارئ كأن تلك المشاهد والرؤى الخيالية واقعية.

وقد كان توظيفه للملك جبريل عليه السلام في سياق الاستهزاء أو السخرية بشيخه العليمي، بعد أن وصف
الملائكة أعماله أنه " قد جاء هذا الرجل بتخليط عظيم..."⁴¹ يتدخل جبريل عليه السلام ويقحم قائل " هذا
شيخ من شيوخ الإسلام، ومن عظماء أمة محمد عليه الصلاة والسلام وله من أعمال البر ما يوفي عنه
مظالم العباد فدخل في زمرة الروح الأمين فما لأحد عليه من سبيل،..فتغاضى عنه الحق سبحانه"⁴²

وإذا كان الوهراني في استدعائه لشخصية جبريل عليه السلام، لم ينقل المشهد كما هو عليه في الواقع من كون
الملك جبريل أوثق الملائكة، إذ أمين الله على وحيه، وجعل منه ما يفيد سياقه الهزلي، فإنه في استدعائه لشخصية
ملك اليمين والشمال، قد حافظ على تلك الحقائق القرآنية إذ يذكر في معرض بيان " جميع ما وجد في
صحيفة حسناته خمس قراطيس صدقة بيدك لابن الجليس الجبروني، وهم فيها على قولين: لأن ملك
الشمال قال هي : تشريح، وقال ملك اليمين: اسم الصدقة عليها مكتوب، وهي موقوفة إلى الآن"⁴³ وإلى
ذلك يشير قول الله تعالى { إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ } سورة ق ، 16

وقد وظف الوهراني هذا الوصف ليدل بذلك أن الأعمال التي كان يقوم بها ابن النقاش لم تكن له فيها نية الصالحة، كما تظهر شخصية الملك "عزرائيل" ملك لموت كذلك في مواطن متعددة.

ومرة أخرى يرجع إلى العلمي ولا يتركه لحظة يسترجع فيها أنفاسه، ليسخر منه بعد أن قد مدحه بالعلم والخط و القرآن، ولكن هذه المرة على غير المرات السابقة إذ يرجع إلى ذم نفسه هو كذلك حتى يخفف من حدة كلامه على شيخه، فيقول له "أما ترى مالك خازن جهنم قد خرج من النار وفي يده اليمنى مسطیجة، وفي يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن، وهو يدور على اللاطة والقوادين في من أمة محمد صلى الله عليه وسلم: ونحن متهمون بهذه الخلال الميشومة"⁴⁴ مما يستدعي غضب العلمي وفي هذا النص كذلك تناص مع النص القرآني وذلك في وصف العصي التي يحملها الملك إذ جاء سياق الترهيب بها على الأسلوب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، يقول سبحانه {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}

وبعد تلك الصفة الغير أخلاقية والتي تعد كبيرة من الكبائر توجب النار والتي ألصقتها بالحافظ العلمي، يبدأ معه في حوار طريف حول ما قد قام به من الاستخفاف وسوء أدبه مع العلماء في اختصار ألقابهم، ويعرض عن تلك الافتراءات التي وصفه بها، مما يدل دلالة ضمنية أنه كذلك، ويزيد أمر عسراً أنه يعرض لكمال الدين بن الشهرزوري، وأنه يريد يوم قيامة وحده، فيقول الباري جلّت قدرته {مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعُتْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} لقمان 28. سلموه إلى الروح الأمين.⁴⁵

4. خاتمة:

وهذه بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث:

- كانت هموم الوهراني واغترابه عن بيئته وأهله هي المحفز له لتلك الكتابات الساخرة، كما صنع التناص الفارق في الكتابة الأدبية حيث ساعده على خلق عالم أكثر عجائية يأسر القارئ ويغلب له.
- أعطى النثر عند ركن الردين ابن محرز الوهراني مساحة واسعة من توظيف التناص وإخضاعه لشعرية الأسلوب والدليل على ذلك تناصه مع أسلوب أبي العلاء المعري وبديع الزمان الهمذاني وهما أحد كبار الكتاب في القرن الرابع الهجري.
- نستطيع القول بأن منامات الوهراني تنقسم إلى نص هامشي الذي بين أيدينا، ونص مركزي يتناص مع نصوص كثيرة يتأول من خلال المفاهيم النصية الكبرى التي يحويها. وما يؤكد حدث المنام الكبير الذي كسر في جميع الطابوهات.
- قليلة هي التناصات عند الوهراني التي تحافظ على صياغتها اللغوية التامة؛ وأغلبها تستعي شخصية أو حدث فقط.

- ينقسم موضوع التناص عند الوهراني إلى ثلاث أقسام:

- أ- النصوص الأدبية و الدينية- القرآن أو الحديث-، أو الآثار الأدبية؛ التي استعار منها لفظة أو جملة حتى يتم استدعاء تلك الحمولة الثقافية.
- ب- شخصيات دينية وسياسية و تاريخية للفصل في الخصومات أو إيقادها.

ت- شخصيات من عالم الغيب كالجن والملائكة وتوظيفها في أحداث عجائبية وذلك قصد دمجها بعالم الميتافيزيقيا.

المصادر و المراجع:

1- القرآن الكريم

- 2- حميد حماموشي: الشعرية -الأنساق والتحويلات-، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2017م.
- 3- الدكتور محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب منهج البحث في الأدب واللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط) 1996.
- 4- ولفجانج إيزر: نظرية الأدب من منظور تحقيقي، الأسس الفلسفية وآفاق الاستثمار، تر: عز العرب لحكيم بناني، مكتبة المناهل فاس المغرب، ط1، 1997. ص1. مقدمة المترجم.
- 5- سعيد سلام: التناص التراثي الرواية الجزائرية أمودجا، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010م، ص125.
- 6- د.محمد جلاوي: تقنيات التناص في أشعار لونيس أيت منقولات، مجلة معارف، العدد: 14، ديسمبر 2013. ص11. نقلاً عن :
M.Baktine le marxisme et la philosophie du langage.paris. les éditions de :
minuit.1977.p 31.
- 7- عبد الله الغدامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية على التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998 م .
- 8- ليديا وعد الله: التناص المعرفي في شعر عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر، ط1، 2005م.
- 9- عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة ببيروت، ط3، 1974.
- 10- أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة،
- 11- سعيد يقطين: إنتاج النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989م
- 12- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعرية البنية الصوتية في الشعر، الكثافة -الفضاء التفاعل، الدار العالمية للكتاب، ط1، 1990م.
- 13- د.محمد مفتاح: المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999م،
- 14- أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، تح: عائشة بنت الشاطي، دار المعارف، ط9، القاهرة،
- 15- بديع الزمان الهمداني : مقامات بديع الزمان الهمداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، 1342 هـ - 1923 م.
- 16- ركن الدين محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني وحكاياته، تح: د. منذر الحايك، دار صفحات للدراسات و النشر، ط1، 2011.
- 17- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1982.

- 18- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دار طوق النجاة.
- 19- محمد ناصر الدين الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، مكتبة معارف للنشر و التوزيع، 1420هـ، الرياض،

- ¹- حميد حماموشي: الشعرية -الأنساق والتحويلات-، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2017، ص395.
- ²- الدكتور محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب منهج البحث في الأدب واللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط) 1996. ص 400.
- ³- ولفجانج إيزر: نظرية الأدب من منظور تحقيقي، الأسس الفلسفية وآفاق الاستثمار، تر: عز العرب لحكيم بناني، مكتبة المناهل فاس المغرب، ط1، 1997. ص1. مقدمة المترجم.
- ⁴- سعيد سلام: التناسل التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010، ص125.
- ⁵- محمد جلاوي: تقنيات التناسل في أشعار لونيس أيت منقالات، مجلة معارف، العدد: 14، ديسمبر 2013. ص 11. نقلاً عن :
- M.Baktine le marxisme et la philosophie du langage.paris. les éditions de minuit.1977.p 31.
- ⁶ عبد الله الغدامي : الخطيئة والتكفير من البنيوية على التشريرية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998م ص321.
- 7انظر: محمد جلاوي: تقنيات التناسل في أشعار لونيس أيت منقالات، مجلة معارف، العدد: 14، ديسمبر 2013. ص -
- ⁸ - ليديا وعد الله: التناسل المعرفي في شعر عز الدين مناصرة، دار مجدلاوي للنشر، ط1، 2005م، ص34.
- ⁹- محمد جلاوي: تقنيات التناسل في أشعار لونيس أيت منقالات، ص 12.
- ¹⁰- المرجع نفسه، ص12.
- ¹¹ - تجليات التناسل في الرواية الجزائرية-رواية بياض اليقين لعبد القادر عميش أنموذجا- ص 46
- ¹² - عبد العزيز عتيق: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة بيروت، ط، 1974. ص333.
- ¹³ - أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص263.
- ¹⁴- سعيد يقطين: إنتاج النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989م، ص125.
- ¹⁵ - المرجع نفسه، ص127.
- ¹⁶- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعرية البنية الصوتية في الشعر، الكثافة -الفضاء التفاعل، الدار العالمية للكتاب، ط1، 1990م، ص123.
- ¹⁷ - د.محمد مفتاح: المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999م، ص 41.
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص 41.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص 42.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص 42.
- ²¹ - المرجع نفسه، ص 42.
- ²² - المرجع نفسه، ص 42.
- ²³ - كن الدين محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني وحكاياته، تح: د. منذر الحايك، دار صفحات للدراسات و النشر، ط1، 2011، ص215.
- ²⁴-أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، تح: عائشة بنت الشاطي، دار المعارف، ط9، القاهرة، ص139.

- ²⁵ - منامات الوهراني وحكاياته. ص 132.
- ²⁶ - بديع الزمان الهمداني : مقامات بديع الزمان الهمداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، 1342 هـ - 1923 م، ص 08.
- ²⁷ - منامات الوهراني وحكاياته. ص 1553
- ²⁸ - ركن الدين محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني وحكاياته، تح: د. منذر الحايك، دار صفحات للدراسات و النشر، ط 1، 2011،
- ²⁹ - المصدر نفسه، ص 221.
- ³⁰ - المصدر نفسه، ص 220.
- ³¹ - المصدر نفسه، ص 221.
- ³² - المصدر نفسه، ص 221.
- ³³ - المصدر نفسه، ص 222.
- ³⁴ - عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1982، ص 190.
- ³⁵ - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دار طوق النجاة، ج 3، ص 149
- ³⁶ - منامات الوهراني وحكاياته، ص 227.
- ³⁷ - محمد ناصر الدين الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، مكتبة معارف للنشر و التوزيع، 1420 هـ، الرياض، ج 4، ص 115.
- ³⁸ - منامات الوهراني وحكاياته، ص 215.
- ³⁹ - حميد هاموشي: الشعرية الأنساق والتحويلات، ص 175.
- ⁴⁰ - منامات الوهراني وحكاياته، ص 217.
- ⁴¹ - المصدر نفسه، ص 223.
- ⁴² - المصدر نفسه، ص 223.
- ⁴³ - المصدر نفسه ص 229.
- ⁴⁴ - المصدر نفسه ، ص 222.
- ⁴⁵ - المصدر نفسه ص 223.